أكرم مَلِك

فضيلة الشيخ
محمد الصاوي

دار الدين القيم للنشر والتوزيع

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين فاطر الخلق أجمعين وقاضي حوائج المحتاجين، ومجيب دعوة المضطرين وقريب من عباده الداعين.

علمتني الحياة أن ابتغاء الله فذًا في كل شأن.

وقصد يبلغ المرء سؤله ومناه

وسواه مهما ادعى ليس يجدي

كم تحرقت من لواعج وجدي

ثم بالله كان يسكن وجدي

ولكم ضقت بالتوحد ذرعًا

ثم بالله لذ لي العيش وحدي

كم طلبت العلا وأنفقت فيها

عنفوان الصبا وغاية جهدي

فاستحالت عليّ حتى طلبت الله
عبدًا حرًا وإذ هي عندي
كم بذلت الحياة أسعى وأسعى
أستحث الخطا لمجد وسعد
دون جدوى حتى تجلى إلهي
برضاه، فكان سعدي ومجدي
أيها التاجر المراوغ دنياه
ليصطادها بصفقة عقد
دعك من وهمها وزور غناها
فجناها مر بقشرة شهد
ثم تاجر مع الله تغنم
فوق دنيا الفناء في جنة خلد

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد أيها الإخوة الأحباب : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إكرم مَلِك

كلمات إلى الفقراء، وكل الناس فقراء

كلمات إلى الضعفاء وكل الناس ضعفاء

كلمات إلى الأذلاء وكل الناس أذلاء

إلى المحرومين في الدنيا وهم يبحثون عن غنى، إلى المحرومين في الدنيا وهم يبحثون عن زوجة وأولاد وسعادة وراحة، إلى كل شاب يبحث عن وظيفة أو عمل، وإلى كل فتاة تتمنى أن يتحقق لها حلمها إلى كل بائس وحزين، إلى كل مكروب ومهموم، إلى كل مسكينة ومغمومة، إليهم جميعًا أسطر الليلة أروع الكلمات وأجمل العبارات، إليهم سأفتح اليوم باب الأمل والتفاؤل، لعلي الآن أرسم ابتسامة طالما كانت عبوسة ولعلي الآن أبهج وأفرح قلبًا طالما كان حزينًا، شدوا ظهوركم، وخذوا أنفاسكم ودعوا آذانكم تطرب لهذا الحديث الجميل.

إليكم مقطوعة أكرم مَلِك

كثيرًا ما يبحث ذلك الشاب عن عمل، لكنه لم يجد، يدخل إلى جميع المؤسسات يقدم أوراقه وتعريف يسير عن نفسه ويأتي الرد نحن نعتذر، يذهب يمينًا وشمالا يسافر شرقًا وغربًا ويعود مطرق الرأس كئيبًا، لا مال ولا عمل ولا راحة ولا أمل، ولكن سرعان ما يتذكر

ذلك الشاب أن له ربًا يحميه، وإلهًا يكلؤه ويؤويه، فيطرق على مولاه بابه ويسجد في محراب الخضوع وتسيل على الأرض الدموع، وترتفع الابتهالات إلهي. . إلهي. . وسرعان ما يأتي الجواب من الرحيم الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

سبحان الله! كيف غفلت عن الملك الكريم، وذي الفضل العظيم، أطرق جميع الأبواب وأنسى باب الملك، أنسى جميله وفضله، أسلك جميع الطرق وأنسى طريق الملك، أبحث عن الواسطة وشفاعة العبيد وأنسى شفاعة الملك، بالله عليكم هل خسر يوم رجل دعا، هل فشلت يوم فتاة رفعت كفها، تظل تلك المسلمة تجري وراء الأطباء ومن مستشفى إلى آخر، ومن طبيب إلى طبيب، ومن كشف إلى كشف، وتشتري الأدوية وتبذل الأسباب وتظن أن شفاءها مؤكد، وتسافر إلى الخارج وفي غرفة العمليات الأم تبكي، والأب يترقب والأخ الأكبر ينصت وتخرج الفتاة: عفوًا لم تنجح العملية!

يا ناس، يا أطباء يا عالم، لقد بذلنا لقد تعبنا، لقد ضحينا، حرام عليكم ابتنا، لكن لا أحد يجيب، ويصل جود الملك الكريم سبحانه وتعالى، إنه أكرم مَلِك وبدعوات يسيرة وبكاء وأنين وتذلل وحنين

يأتي الشفاء وتعود البسمة إلى الشفاه، الله أكبر، ما أعظم جودك يا مولاي، وما أجل كرمك يا إلهي.

لا تسألن بني آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لا تحجب
فالله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يُسأل يغضب

يا أيها العقلاء، يا أيها النبهاء : من الذي يسأل العبد والملك هو القائم على شؤونه، من الذي يسأل الفقير والغني هو المدبر لأموره، من الذي يسأل الذليل، والعزيز هو المتصرف في أحواله، أخي أختي، هل طرق سمعكم هذا الحديث القدسي : «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر».

يا الله! يا الله أي جود ذلك الجود، وأي كرم ذلك الكرم، أخي الشاب، أختي الفتاة، من الذي أعطانا السمع والبصر من الذي ركب فينا الشعور والإدراك من الذي فضلنا على كل المخلوقات، أليس هو الله؟ بلى.

فلماذا نتركه ونسأل غيره!!

بالله عليكم من يبيع يديه مقابل كنوز الدنيا وأموال العالم؟

من يرضى أن يتبرع بقدميه ليكون ملكًا على الأرض؟

من سيضحي بعينٍ واحدة من عينيه ليعطى بدلا منها جبل من ذهب ولؤلؤ وجواهر؟

لا، لا أحد يفعل ذلك، إنها أعطيات أكرم مَلِك إنها هبات أعظم ملك.

أيها الشاب كم من مرة وقعت في مصيبة فقلت يا رب؟ وانجلت تلك المصيبة.

كم مرة ألمت بك فاجعة ثم تحركت شفتاك يا إلهي وقبل أن تكتمل الكلمات أعطاك الملك سبحانه ما تتمنى.

يا شباب، يا فتيات، يا طلاب يا مدرسين، ويا مدراء، ويا موظفين، يا وزراء، ويا أمراء يا علماء، يا كل الدنيا، يا أهل الأكوان، يا سكان الأفلاك يا كل شيء دون الله، هل وجدتم شيء أكرم من الله، هل وجدتم أجود من الله! هل مررتم بأحد أرحم وألطف وأرأف من الله سبحانه وتعالى لا والله، لا أحد سوى الله.

خرج نبينا ﷺ من مكة طريدًا حزينا خرج مهاجرًا ودخل هو وصاحبه أبو بكر في الغار وجاء الكفار وتم الحصار، يبحثون في كل مكان ويقلبون كل حجر وينقبون تحت كل جبل وحينها رجف فؤاد الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقال يا رسول الله: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ويأتيه جواب الرسول العظيم ﷺ يأتيه الجواب محمل بالشفاء محمل بشهد يحمل أعظم مداه، قال عليه الصلاة والسلام: «يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما». سبحان الله! يعني يا أبا بكر أفنخرج من أجل الله ونترك ديارنا كي يرضى الله، ونترك دورنا وأموالنا كي يرضى الله ونسير على أقدامنا في الصحراء لله ونقطع البيداء نصرة لله وبعدها فهل سيضيعنا الله؟

لا والله، اسمعوا ماذا يقول الله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

أرأيتم يا شباب أرأيتم يا فتيات من الذي آوى محمدًا ﷺ؟ إنه الله.

من الذي حماه من قريش؟ إنه الله..

من الذي يطعمه ويسقيه ويرزقه ويؤويه وهو محاصر في شِعب مكة؟ إنه الله.

من الذي نصره يوم بدر إنه الله.

من الذي أتم له الدين وأكمل له الرسالة، إنه الله.

كم مرة حاولوا قتله ﷺ ولكن خيب الله أملهم.

كم مرة حاول الأعراب أذيته ولكن خيب الله فعلهم.

كم من مرة زرع له المنافقون فتنة وتهمة ولكن ردها الله في نحورهم.

أفبعد كل هذا ينسى كثيرٌ منا أكرم مَلِك، أكرم مَلِك سبحانه وتعالى حمى لكم رسولكم وبلغ لكم دينكم وأتم لكم إسلامكم، وأنبت لكم أرضكم وأطعمكم من جوع وألبسكم من عري وآواكم من عراء ووهب لكم أزواج وأبناء وآباء وأمهات وأعطاكم أسماعًا وأبصارًا وأفئدة فهل يا ترى ستنسون هذا الملك الكريم.

ببابـــــــك لـــــــن أغـــــــادره

ولـــــــن أســـــــعى إلى غـــــــيرك

سأنسج بالرضا ثوبي
وأشرف أنني عبدك
وأصرخ في جبين الصبح
حين يقال من ربك
إلهي فالق الإصباح
سعدي أنني عبدك

يا من تحزن على فوات الدنيا تذكر نعم الله عليك، تذكر أفضاله وآلائه تفكر في جميل معاملته لك، كم من مرة تعصيه فلا يؤذيك، وكم من مرة تهجر طاعته فلا يجوعك ولا يعريك، كم وكم وكم يا أيها المهموم، يا أيها المهموم قل بأعلى صوتك يا الله يا أيها الفقير قل بأعلى صوتك يا الله يا أيها الباحث عن زوجة قل بأعلى صوتك يا الله، يا أيتها الباحثة عن النجاح قولي بأعلى صوتك يا الله، يا من يؤذيك جارك قل بأعلى صوتك يا الله، يا من يشتكي من ديونه قل بأعلى صوتك يا الله، يا من يخاف من ظلم ظالم قل بأعلى صوتك يا الله، يا من يبحث عن سعادة قل بأعلى صوتك يا الله، يا أيها الأسير يا أيها المسجون يا أيتها المشردة، يا أيتها المطلقة يا أيتها العانس يا أيها المظلوم قولوا جميعًا يا الله.

يا الله! كلمة توحيد وإخلاص، كلمة ذل وإخبات كلمة حب وتضرع كلمة شوق وسؤال ثم اتبعوا هذا كله بدموع سواكب وعبرات تجري فيها المراكب وبعدها يأت الفرج بإذن الله.

لكن حاذر أيها السائل، حاذري أيتها السائلة أن نقف على باب الملك ونحن معه مقصرون ونحن على المعصية مصرون، فليس من الأدب أن تطلب من مولاك أن يقضي حاجتك وأنت مقصر في خدمته، ليس من الأدب أن تطلب الكرم وأنت بخيل، تزين بلباس التقوى أمام ربك وأسكن الإيمان قلبك ثم اطرق حين إذن الباب واسمع ماذا يقول مولاك : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

شاهدوا معي جميعًا هذه الصورة

يقتل فرعون كل صبي يولد، كان يظن أنها مملكته يتحكم فيها كيف شاء، لكنها مملكة الله جل وعلا، ويعيش موسى عليه السلام في قصر فرعون ويتربى بين يديه لكنها مملكة الله وتصل النبوة إلى

موسى عليه الصلاة والسلام فيعلن توحيده لله ويرفع في وجه الطاغية شعار مولاه، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه:٤٦].

ويحاربه فرعون ويجند الجيوش للقضاء عليه؛ لكن هيهات إن موسى في حراسة أكرم ملكٍ سبحانه وتعالى، ويضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر فينفلق له ويعبر موسى عليه الصلاة والسلام ومعه المؤمنون، ويغرق عدو الله فرعون يا سبحان الله!

ذلك الطاغية الذي كانت تهابه الدنيا كلها، نعم، قال الملك الذي فوقه كن فيكون، وتمر الأحداث سريعة ويهاجر موسى عليه الصلاة والسلام ويطارده الأعداء ويأوي إلى بلدة ويرى الفتاتين فيسقي لهما الماء ويعود مجهدًا متعبًا ليستظل بشجرة وحينها يرفع بصره إلى مولاه إنه لا غنى له عنه طرفة عين: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص:٢٤] سبحان الله إنه يناجي الملك سبحانه ويرسل الله إليه جوده وكرمه جل وعلا ويرزق الله موسى أمنًا وعملا ومالا وزوجة، الله أكبر، كل هذا بسبب دعوة، إنها نفس الأحداث التي مرت بمحمد ﷺ حين صعد الطائف فرجم بالحجارة وأوذي وسالت الدماء الشريفة منه ﷺ ثم استند بعدها على حائط ورفع كلمات اللجوء والتوحيد: «إلهي إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني، أم

إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

ما أجملها من كلمات وما أعظمها من دعوات ويأتي الفرج رسول الله ﷺ وينتصر دينه وترتفع رايته ويذل أعدائه الله أكبر إنه أكرم مَلِك.

أخي المسلم أختي المسلمة هل تأملنا يوم من الأيام في جوارحنا وأعضاءنا كم هي عظيمة انظروا إلى بديع صنع الله في خلقها وإنشائها كيف نتحرك؟! كيف نأخذ ونعطي؟! كيف نتكلم سبحان الله! كيف نبصر، أطلب منكم الآن أن تغمضوا عيونكم لخمس ثوان فقط لن نشاهد إلا ظلامًا دامسًا الله أكبر ما أعظمك يا ربنا.

ماذا لو ولد أحدنا أعمى، هو لن يشاهد السماء الزرقاء الجميلة ولا البحر الفسيح الرائع، هو لم ير الأشجار ولا لون الأزهار، هو لم ير الطيور الجميلة المغردة بل لم ير أمه وأباه الذي يستمتع كل واحد منا بالنظر إليهما، بل لم ير زوجته المحببة إلى نفسه، ولم ير أولاده وبناته، هو لم ير من الدنيا إلى ظلامًا وسوادًا.

كم نحن في نعم من الله عظيمة، والله يا شباب، والله يا فتيات، يحدثني أحد الإخوة فيقول: قال صاحب لي: كنت في يوم من الأيام متكأ على حائط في المسجد المكي الحرام أقرأ كتاب الله، وفجأة مر من أمامي رجلٌ فنظر لي بنظرات غريبة فقلت لعله شبه عليّ شخص يعرفه وأكملت قراءتي للقرآن ثم مر ذلك الرجل من أمامي مرة أخرى ونظر لي بنفس النظرات الغريبة فتركته، ثم مر في المرة الثالثة فقمت إليه مباشرة وقلت له: لماذا يا أخي تنظر إلي هكذا، كنت أحدثه بغضب وقد رفعت صوتي عليه فقال لي ذلك الرجل : رفقًا بي يا أخي فأنا رجل أقطع اليدين وهاتان اليدان اللتان أمامك هما صناعيتان ولا تتحركان وأنا الآن أريد أن أنزل إلى دورات المياه في أسفل الحرم المكي حتى أقضي حاجتي فلا أستطيع، قال صاحبي فخنقتني الدموع وبدأت أبكي لله، ثم أنزلت ذلك الرجل إلى دورات المياه وأدخلته الحمام ثم قضى حاجته ثم نظفته وألبسته ثيابه، فلما خرج من الحمام قال: الحمد لله وحده، الحمد لله، الحمد لله وحده، والله لا أحمد أحدًا إلا الله عز وجل فهو الذي حرمني من هذه النعمة وهو الذي سيسخر لي من يعينني على قضاء حاجتي، سبحان الله، ما أكرم الله، وما أعظم جوده وفضله.

يا شباب الإسلام يا فتيات الإسلام، لو لم يكن في وجود أيدنا إلا أننا نقضي حوائجنا بأنفسنا، لا نتذلل لأحد ولا نحتاج إلى معونة أحد ولا يطلع على عوراتنا أحد أرأيتم كم هي أنعُم الله وأفضاله!!

إخواني إذا لماذا لا نتضرع إلى ربنا سبحانه وتعالى ونسأله كل صغيرة وكبيرة من حوائجنا ، لما لا نطلب منه أن يغفر ذنوبنا ويستر عيوبنا، ويقضي ديوننا ويحقق آمالنا، فهو ربنا وهو أكرم مَلِك.

أناجيـــك في الليـــل وفي العـــين أدمـــع
ومـــا لي إلا رحمـــة منـــك تـــشفع
ءأدعـــوك جهـــرة أم أناديـــك خفيـــة
وأنـــت لزحـــف الظـــل والنمـــل تـــسمع
وأخـــشع في ذلي لـــديك وأنثنـــي
وفي الـــنفس إحـــساس مـــن العـــز أرفـــع
وأحـــسب أن قـــد بلغـــت تجليًـــا
وإذا بي في درع مـــن الطـــين أصرع
فـــؤادي في كفيـــك لـــيس ينالـــه ســـواك
فـــما للقلـــب إلا إيـــاك مرجـــع

وعينـــي كـــم جالـــت دمـــوع حبيـــسة
فمقلتـــه كـــم ترجـــو انـــسكابا فتمنـــع
بـــذلت قـــصارى الجهـــدِ أرجـــو مكانـــة
لـــديك متـــى يـــا رب للنـــور أرجـــع
صـــبرت وهـــل أقـــوى عـــلى الـــصبر بعـــدما
غـــدوت كلـــيلا لـــيس في القـــوس منـــزعُ
إلهـــي إن كانـــت ذنـــوبي كثـــيرة
فعفـــوك يـــا ربـــاه للـــذنب أوســـع
منـــى القلـــب أن يحيـــا صـــفاء مجنحًـــا
لـــدى نـــورك القـــدسي يـــسمو ويخـــشعُ
لأرســـل روحـــي عـــبر أفـــق مـــن الرضـــا
فيبقـــى لروحـــي في المـــودة موضـــعُ
وأهجـــر لغـــو النـــاس للنـــاس علنـــي
أعـــيش مـــع القـــرآن أتلـــو وأركـــعُ
أشـــم عبـــير الحـــق والـــروض مجـــذبٌ

وأبـــصر نـــورًا مـــن يقينـــك يـــسطعُ

وأبـــصر الملائكـــة طـــورًا وطـــورًا

تـــسابيح النبيـــين أســـمع

أأحـــرم حاشـــا جـــودك الغـــامر الـــذي

تبـــاهى بـــك الأفـــاق والكـــون أجمـــع

يا شباب الإسلام ويا فتيات الإسلام شاهدوا هذه الصورة:

مر رسول الله ﷺ ومعه بعض الصحابة على امرأة تحتضن وليدها وتضمه إلى صدرها فقال لهم النبي ﷺ : «أترون هذه المرأة طارحة وليدها في النار» قالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ :«الله أرحم بعبده من هذه بوليدها».

الله أكبر، هذا هو كرم الله وجوده، ذلك الكرم لا يناله إلا المخبتون المتذللون الخاضعون المتقون.

يحدثني بعض الشباب فيقول : يا شيخ أنا أبحث عن زوجة منذ زمن ولم أوفق فماذا أفعل؟

قلت: انطرح بين يدي مولاك وسيأتيك مبتغاك، وأنتي كذلك أختي قفي بباب الله، فوالله ما ضيع الله من دعاه، ولندرك يا أحباب

جميعًا أن هذه النعم، وهذه الخيرات وهذه الفضائل إنما تزيد بشكر الله وحمده، والثناء عليه، وأعظم الثناء ،الثناء بالأعمال الصالحة والأقوال الفاضلة والطاعات الكثيرة، ولنحذر من عاقبة من يجحد النعم، إياك واليأس، إياك واليأس أختي، فيعقوب عليه الصلاة والسلام لم ييأس ولم يضّجر، ولم يقنط حين فقد يوسف عليه الصلاة والسلام، بل ظل دعاء الله أمل له يحدوه، بكى وبكى حتى ذهب بصره، ومع هذا ما قنط وما سأم واسمعوا ماذا يقول الله: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف:٨٧] وحقق الله له مناه وعاد إليه بصره ورجع إليه يوسف عليه الصلاة والسلام وأخاه، كذلك وأتم الله له السعادة كل ذلك بشكر وابتهال وخضوع وإقبال، أما من جحد وكفر وتكبر وبطر فإن الملك سبحانه ينتقم منه، أما سمعتم عن قوم سبأ أوَ ما وصل إليكم خبرهم؛ أعطاهم الله البساتين والجنات والأنهار والخيرات والثمار والأمن والأمان لكن هذا كله جحدوه وكفروه بل تمنوا خلافه فلنسمع ماذا قال ربنا عنهم: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ

جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى
ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا
ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

[سبأ] سبحان الله! كانت لهم نعم، لكنهم لم يشكروا المنعم، كانت عندهم خيرات، لكنهم لم يحافظوا عليها بالحسنات، مسكين ذلك الإنسان الذي يطلب ويسأل ويدعو ويبكي ثم لما يعطيه الله الخير ينسى فضل خالقه سبحانه وتعالى.

أيها الشاب، أيتها الفتاة، الملك الكريم سبحانه عظيم العفو واسع المغفرة، فإذا وقف أحدنا على باب الملك فليحسن الظن به وليعلم أنه أجود من كل جواد، وأكرم من كل كريم، ولذلك ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفرًا» يا الله، أخي، أختي، ربنا يستحي منا أن نرفع أيدينا وأن نبتهل في دعواتنا ثم يردنا الله دون أن يحقق منانا، ما أكرمك يا أكرم مَلِك! نعم إنه كرم الكريم سبحانه وتعالى، إن دعوته آواك، وإن سألته أعطاك وإن استغفرته بالمغفرة كساك، لكن لنعلم يا أخي ويا أختي أن تلك الإجابة وهذا الكرم عام للجميع لكنه يكون أكثر خصوصية بالصادقين، الذين هم قريبون من خالقهم في حال الرخاء،

فإذا جاءت الشدة استجاب الله لهم وما تأخر جوده عنهم وأعظم الكرم، كرم الله عليهم بحفظ دينهم، وحماية أعراضهم، وهذا الكرم أعظم من كرم الله عليهم بالطعام والشراب.

قال يزيد الرقاشي: إن يونس عليه الصلاة والسلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله: أما تعرفون هذا؟

قالوا: ومن هو؟ قال: عبدي يونس، قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة، قال : نعم، قالوا: يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال الله: بلى، فأمر الله الحوت فطرحه في العراء.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه: إذا كان الرجل دعّاءً في السراء ونزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة: صوت معروف فشفعوا له، وإذا كان ليس بدعّاء في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة: صوت غير معروف. فلا يشفعون له.

أيها الشاب، أيتها الفتاة، هل سمعتم هذه القصة العجيبة فاصغوا إلي بقلوبكم، إنها قصة ثلاثة رجال حفظوا الله في الرخاء، فحفظهم الله في الشدة كانت بينهم وبين الملك أعظم علاقة، فجاءهم كرمه في وقت حاجتهم أخبرنا النبي ﷺ عنهم أنهم كانوا في طريق فآواهم المبيت إلى غار وبينما هم في الغار جلوس انطبقت على باب الغار صخرة عظيمة سدت عليهم طريق الخروج حاولوا إزاحتها لكنهم لم يستطيعوا، تعاونوا في دفعها لكنهم لم ينجحوا نظر كل واحد لأصحابه فقالوا: لن ينجيكم من هذا إلا دعاء الله جل وعلا، فادعوا الله بأعمالكم الصالحة التي كانت بينكم وبين الله، فقام الأول فقال: اللّهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أقدم عليهما أحد في الطعام، وإني جئتهما يومًا بإناء فيه لبن، فوجدتهما قد ناما فوقفت عند رأسيهما حتى طلع الصباح وأطفالي تحت قدمي يطلبون أن أسقيهم لكني لم أفعل حتى استيقظا فسقيتهما اللبن ثم سقيت أطفالي بعدهما، اللّهم إن كنت تعلم أنما فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئا يسيرًا، فقام الثاني يدعو، فقال: اللّهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عم وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء وكنت أروادها عن نفسها فتأبى فأصابها فقر شديد فجاءت تطلب مني مائة دينار فقلت لها لن أعطيك حتى

تمكنيني من نفسك، فلما قعدت منها مقعد الرجل من زوجته، قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت من عليها ووهبت الدنانير لها اللّهم إن كنت تعلم إني إنما فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئًا يسيرًا.

وقام الثالث يدعو اللّهم إنك تعلم أنه كان عندي عبد أجير وأنه انصرف قبل أن يأخذ أجره فنميت له ماله وجمعته له حتى أصبح له واد من البهائم فجاءني بعد زمن يطلبه حقه فقلت اذهب إلى هذا الوادي المليء بالبهائم فهو لك، فقال: يا عبد الله أتهزأ بي؟! قلت: لا والله بل هو لك، فأخذه كله واستاقه معه ومضى، اللّهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة عنهم وخرجوا يمشون في الشمس، الله أكبر، وهكذا يكون فرج الله عز وجل لعباده المؤمنين، إني والله أبكي وأنا أسمع هذا الحديث، أقول لنفسي ترى، هل يعقل شباب المسلمين هذه المعاني، كم شاب تدعوه نفسه لشهوة، فيسقط وينسى أن يحفظ حق الله وكم فتاة تغريها الدنيا فتزل قدمها وتنسى أن تحفظ حق الله، إخواني أخواتي لنعمل ليوم شديد، لنعمل ليوم نودع فيه الدنيا، لنعمل ليوم لا معين فيه سوى الله حتى يكون معنا أكرم مَلِك سبحانه وتعالى.

قال أبو عبد الرحمن السلمي في مرضه: كيف لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان.

ولما احتضر أبو بكر ابن عياش وبكوا عليه قال: لا تبكوا علي فإني ختمت القرآن في هذه الزاوية ثلاثة عشر ألف مرة، وروي أنه قال لابنه: إن الله لن يضيع لأبيك أربعين سنة يختم فيها القرآن كل ليلة.

وقال بعض السلف لابنه عند موته: لا تبكي، لا تبكي علي، فما أتى أبوك فاحشة قط.

وختم آدم بن أبي إياس القرآن وهو مسجى على فراش الموت ينازع السكرات ثم قال: يا مولاي بحبي لك ، بحبي لك يا مولاي إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، كنت أرجوك لهذا اليوم، لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم خرجت روحه.

ورؤي بعض الصالحين في النوم بعد موته فسئل عن حاله فقال: يؤنسني ربي عز وجل فمن كان الله أنيسه في خلواته في الدنيا فإنه يرجى أن يكون أنيسه في ظلمات اللحود إذا فارق الدنيا وتخلى عنها، فيا رب كن لي مؤنسًا يوم وحشتي فإني بما أنزلت لمصدق وما ضرني أني إلى الله صائر ومَن هو مِن أهلي أبر وأرفق.

فيا أيها الفقراء! اطرقوا باب الغني ويا أيها العبيد قفوا على باب السيد، ويا أيها الضعفاء اطلبوا العون من القوي، يا أيها المحتاجون اطلبوا من واسع الكرم أن يقضي لكم حوائجكم.

قال الزبير ابن العوام لابنه عبد الله بن الزبير في وصيته عند موته: يا بني إني علي دين فإن عجزت عن سداد ديني فاستعن بمولاي، فقال عبد الله: من مولاك؟ فقال: الله.

قال عبد الله: والله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضي عنه دينه فيقضيه الله عز وجل.

ورأى بعض السلف في نومه انه يقول: يا رب كم أدعوك وأسألك ولا تجيبني ، قال الله: إني أحب أن أسمع صوتك يا هذا لما نستدعيك إلينا وأنت تفر منا، نسبغ عليك النعم فتنشغل بها عنا وتنسانا، ونفرغ عليك البلاء لترد إلينا وتقف على بابنا ونسمع تضرعك، البلاء يجمع بيننا وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك.

الله أكبر، ألم أقل لكم يا شباب إنه أكرم مَلِك يحب أن يسمع دعاء الداعين ويحب الملحين يؤخر الحاجة عن عبده ليسمع تضرعه وتذلله إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاقت بما به الصدر الرحيب وأوطئت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب ولم

تر لانكشاف الضر وجهًا، ولا أغنى بحيرته الأريب أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب.

روى أهل السير أن رجل من المسلمين كان في سفر فتعرض له أحد قطاع الطرق فقال له ذلك المسافر: ليس معي سوى أربعين دينارا فخذها، فقال قاطع الطريق: سآخذها وآخذ دابتك وملابسك ثم أقتلك عريانا، فقال المسافر: إذا دعني أصلي ركعتين فصلى ركعتين ثم دعا وهو ساجد: يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد أسألك بعزك الذي لا يضام وسلطانك الذي لا يرام أن تصرف عني هذا، ثم دعا مرة أخرى: يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد أسألك بعزك الذي لا يضام وسلطانك الذي لا يرام أن تصرف عني هذا، ثم دعا مرة ثالثة، فلما دعا الرابعة سمع صوت فارس وسمع صوت خيل تأتي مسرعة كلمح البصر ثم رفع رأسه من السجود فوجد قاطع الطريق قد طارت رقبته وسال دمه على الأرض ووجد الفارس على خيله فقال له من أنت قال: أنا ملك من السماء الرابعة لما سمعنا دعاءك واستغاثتك أرسلني الله إليك : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ

صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج].

نعم أيها الأحباب نصر الله لمن ينصره سبحانه وكرم الله لمن يقف على بابه فدونكم الطريق فلنسلكها إلى الله وإليكم السبيل فهي ستوصلنا إلى الله من هذه الليلة، من هذه الكلمات لنحسن الظن بالله ولنصدق مع الله ولنعلم أنه أكرم مَلِك.

فـــلا تجـــزع وإن أعـــسرت يومـــا
فقـــد أيـــسرت في الـــزمن الطويـــل
ولا تظـــنن بربـــك ظـــن ســـوءٍ
فـــإن الله أولى بالجميـــل
ولا تيـــأس فـــإن اليـــأس كفـــر
لعـــل الله يغنـــي عـــن قليـــل
فـــإن العـــسر يتبعـــه يـــسارِ
وقيـــل الله أصـــدق كـــل قيـــل

اسندوا ظهوركم وامنحوني أسماعكم فإليكم قصة مؤمن دخلت عليه في المستشفى فوق سريره الأبيض نظرت إلى وجهه الجميل

ولحيته التي زادت الوجه نورا، كان شابا من الصالحين - أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدا - مؤمن ما زال يدرس في كلية الهندسة له طموحاته وأمنياته، تمنى أن تكبر به الأيام ويتزوج فتاة صالحة تعينه على طاعة الله عز وجل، تمنى كثيرًا من الطاعات والحسنات وأسأل الله أن يحقق له كل ما يتمناه.

دخلت عليه وأنا أعلم بقصة حادث القطار الذي أصابه كان قلبي مرتجفا ويداي ترتعشان لا أدري ماذا سأقول لمؤمن من كلمات تثبته وتصبره في مرضه بعد أن قطع الأطباء قدميه فأصبح بلا قدمين، دخلت فإذا ابتسامة كبيرة تملأ الوجه هدأت تلك الابتسامة من روعي أسرعت أقبله من رأسه وأنا أقول اصبر واحتسب يا مؤمن فقد سبقتك قدماك إلى الجنة فقال: أسأل الله عز وجل ذلك، بشرني يا مؤمن كيف صحتك الآن لعلك بخير ما أخبار صبرك ورضاك فقال لي: والله لست أتذكر سوى أنني أردت ركوب القطار ولم أفق إلا فوق هذا السرير، فلما نظرت ورأيت أنني بلا قدمين حمدت الله عز وجل والله إني راضٍ بقضاء الله وقدره، قلت له: لكن لا تخف يا مؤمن فإن ربك كريم ابتلاك ليرفع درجتك ويزيد في حسناتك وتعلم قدر نفسك عند الله وأبشر فإن النبي ﷺ قال: «إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط» فقال

الحمد لله على كل شيء ثم قال: أريدك في أمر خاص فدنوت بأذني إليه فقال: أشعر يا شيخ أن إيماني قل!! قلت: وكيف علمت ذلك قال: لم أعد أجد حلاوة الإيمان التي كنت أجدها قبل الحادث، قلت له: لا تخف، إن الشيطان يريد أن تلتبس عليك الأمور، ويقلل من صبرك ويقودك إلى الجزع المحرم، فأكثر من الاستغفار والدعاء بالصلاح والتقوى وستجد بإذن الله حلاوة الإيمان.

ثم بدأت أفكر في نفسي وأقول: يا سبحان الله ماذا لو كنت مكان هذا الفتى ماذا سيكون صبرك ورضاك، أليس الله أعطاك أربعة أطراف فلماذا تغضب إذا أخذ منك اثنين؟! أليس ربك أبقى لك العينين والأذنين واللسان والشفتين ألست تعقل وتفكر إذا لماذا تحزن؟! هناك حكمة عظيمة من الابتلاء، نعم هذه الحكمة هي أن تقترب من الله وأن ترفع كفيك بالدعاء لله وأن تشكره على جميل لطفه وكرمه فلربما لو حدث هذا لغيرك لمات، كنت في خيالي شارد سارح وفجأة وجدت يد مؤمن تمسك بيدي وتقول: الله المستعان فانتبهت من غفوتي وقلت هل تدري يا مؤمن أنك في نعمة عظيمة قال: كيف؟!

سكت ولم أتمالك دموع عيني.

قلت: إن بعض الصالحين رأى في المنام انه يقول: يا رب إني أكثر من الدعاء ولكنك لا تعطيني حاجتي ولا تلبي لي مطلبي فقال الله: يا عبدي إني أحب أن أسمع صوتك أنعمت عليك كثيرًا فنسيتني رزقتك كثيرًا فنسيتني أطعمتك وسقيتك فنسيتني أفلأني أخرت إجابة دعائك تغضب مني؟! عبدي إنما أخرت حاجتك عنك لأسمع دعاءك وبكاءك، يا عبدي المصيبة تجمع بيني وبينك فتذكرك بي والنعم تنسيك شكري، كنت أبكي وكان مؤمن يربت بكفه على صدري ويقول: لا تبكي يا شيخ الحمد لله نحن في خير وعافية من الله عانقت مؤمن مرة أخرى ثم ودعته وانصرفت.

سبحانك يا رب ما أعظمك سبحانك يا رب ما أكرمك.

أرأيتم يا شباب أكرم مَلِك أرأيتم يا فتيات أكرم ملك.

اللّٰهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام نسألك يا أكرم مسئول أن تصلح فساد قلوبنا اللّٰهم أصلح فساد قلوبنا

اللّٰهم اقض حوائجنا جميعًا

اللّٰهم حقق لنا أمنياتنا

اللهم يا أكرم مَلِك كل شاب معنا الليلة، وكل فتاة بيننا الليلة ينادونك بكل قلوبهم يسألونك الجنة فلا تحرمهم جودك وفضلك يا أرحم الراحمين

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل

اللهم اجمعنا بنبيك محمد ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة إنك على كل شيء قدير.

اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***